جمهورية العراق
رئاسة ديوان الوقف السني

Republic of Iraq
Al-Sunni Endowment

مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة

الجزء ١
رمضان ١٤٤٧ هـ - آذار ٢٠٢٦ م

Al- Imam Al-Adham University College

A.D 2026 A.H 1447

ISSN: 1817-6674
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد هو 818 في 2005/3/17م
coll.magazine@imamaladham.edu.iq

اقرأ في هذا العدد: مجلة علميَّة فصلية محكَّمة

التجديد في تطبيق السنة النبوية التدرج في دعوة غير المسلمين - أنموذجا -
أ.م.د. أيوب حميد لطيف

الأبعاد التنمويّة لتسريع توزيع الميراث دراسة في ضوء النظام الاقتصادي الإسلامي
أ.م.د. فائز محمد جمعة الكبيسي

الصُّورةُ الفَنِّيَّةُ وَالظَّواهرُ الأسلوبيَّة في مَراثي خالد رشيد الجميليّ (ت:٢٠٢٢م)
أ.م.د. عبد الرحمن خلف مطلب

إشارة النص في السنة النبوية (باب العبادات) دراسة أصولية - نماذج تطبيقية -
أ.م.د. وسام ياسين جاسم

آيات العمران البشري في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم الاجتماع التفسيري
أ.م.د. محمد خليفة علي

سِيَاقات النَفس البَشَرِيّة فِي القرآنِ الكَرِيم - دِراسَةٍ دَلَالِيَة -
م.د. انتظار عبد علي محيي

التهابات الحلق في ضوء الممارسات الدينية والتقليدية وعلاجها عند الأطفال ..
م.م. مريم محمد صالح خليل

ISSN: 1817-6674
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد هو 818 في 2005/3/17م
coll.magazine@imamaladham.edu.iq

الجزء الأول - العدد الخامس والخمسون
رمضان ١٤٤٧ هـ - آذار ٢٠٢٦ م

مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة

العدد الخامس والخمسون

«الجزء الأول»

رمضان ١٤٤٧ هـ
آذار ٢٠٢٦ م

هيئة تحرير المجلة لسنة ٢٠٢٦م

أ. د. صلاح الدين فليح حسن - عميد كلية الإمام الأعظم الجامعة ..... المشرف العام
أ.د. فهيمي أحمد عبد الرحمن ..... رئيس التحرير
أ.م.د. علي داود خلف..... مدير التحرير
أ.د. إسماعيل عبد عباس.....عضو
أ.د. محمود عبد العزيز محمد .....عضو
أ.د. حقي إسماعيل محمود..... عضو لغوي
أ.د. حسام مشكور عواد .....عضو
أ.د. محمد عبد القادر عجاج ..... عضو مترجم إنكليزي
أ.د. وسام محمد خليفة.....عضو
أ.د. أحمد ياسين معتوق .....عضو
أ.د. خالد مصطفى عبيد.....عضو
أ.د. نور سعد محسن .....عضو
أ.د. وصفي عاشور أبو زيد / تركيا .....عضو
أ.د. محسن المطيري / الكويت .....عضو
أ. د. لبنى خميس مهدي / وزارة التعليم العالي.....عضو
أ.م.د. عبد الوهاب أحمد حسن الطه.....عضو
أ.م.د. محمد صالح حسن / دائرة البحوث .....عضو

شروط النشر في مجلة
كلية الإمام الأعظم الجامعة / العراق

الرقم الدولي ISSN:1817-6674
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد هو ٨١٨ في ٢٠٠٥/٣/١٧م

مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، مجلة إنسانية من المجلات العلمية الأكاديمية الرصينة، وقد صدرت موافقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لاعتمادها بالرقم: بت/٨٦٤ في ٢٠٠٥/٥/٢٤.

شروط النشر العامَّة:

تسعى هيئة التحرير في مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة إلى الارتقاء بمعامل التأثير (impact Factor)، تمهيدًا لدخول المستوعبات العلمية العالمية، وعليه تنشر مجلة الكلية البحوث التي تتسم بالرصانة العلمية والقيمة المعرفية، وبسلامة اللغة، ودقة التوثيق وفق الشروط الآتية:

١. ألَّا يكونَ البحث منشورًا سابقًا في مجلة أخرى، وألَّا يكونَ جزءًا من بحث سابقٍ منشورٍ، أو من رسالة جامعية، وعلى الباحث أن يوقّع نموذجَ تعهدٍ بألَّا يكونَ البحث منشورًا، أو سبق تقدّيمه للنشر في مجلة أخرى، وألَّا يقدّمه للنشر في مجلة أخرى بعد نشره في مجلة كليتنا، وأن يوافق على نقل حقوق نشر البحث إلى المجلة في حال قبول نشره.

٢. ألَّا يذكر اسم الباحث أو أيّ إشارة تدلُّ عليه في متن البحث؛ لضمان سرية وحيادية عملية التحكم.

٣. ألَّا يزيد عدد الكلمات في البحث على (٨٠٠٠) كلمة، مع المصادر والملاحق، أو ألَّا يزيد على خمس وعشرين صحيفة.

٤. أن تحتوي الصحيفة الأولى من البحث ما يأتي:

أ. عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.

ب. اسم الباحث ودرجته العلمية وتخصصه باللغة العربية والإنجليزية.

ج. مكان عمل الباحث باللغة العربية والإنجليزية.

د. رقم هاتف الباحث وبريده الإلكتروني الجامعي.

٥. يقدّم الباحث ملخصًا (باللغة العربية والإنجليزية) لا يقل على (١٥٠) كلمة.

٦. يوضع بعد الملخص (Abstract) مباشرة الكلمات المفتاحية لموضوع البحث (Keyword)، باللغة العربية والإنجليزية.

٧. على الباحث اتّباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر، وأخلاقيات البحث العلمي بما يتوافق مع سياسة المجلة.

٨. تكتب الهوامش داخل المتن وبين قوسين (APA) النظام الامريكي وكما ياتي :

- مع تطور الحياة (الزمخشري، ١٩٩٩: ٣٥).
- قائمة المصادر باللغة العربية (APA).
- قائمة المصادر باللغة الإنكليزية (APA).

٩. الاستشهاد بعددين من أعداد المجلة المنشورة سابقًا والمرفوعة في الموقع الإلكتروني الخاص بكليتنا في الرابط الإلكتروني: https://www.iasj.net/iasj/journal/224/issues.

١٠. تطبق المجلة نظام فحص الاستلال الإلكتروني باستخدام برنامج (Turnitin) ويرفض نشر الأبحاث التي تتجاوز فيها نسبة الاستلال ٢٠٪.

١١. يخضع البحث لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير في المجلة، وذلك لتقرير أهلية البحث للتحكيم، ويحق لها أن تعتذر عن قبول البحث دون تقديم الأسباب.

١٢. تتبع المجلة التقويم المزدوج السري لبيان صلاحية البحث للنشر، إذ يعرض البحث المقدّم للنشر على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص، ويتم اختيارهما بسرية مطلقة، بالإضافة إلى عرض البحث على خبير لغوي لتقويم سلامته اللغوية.

١٣. الأبحاث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها لتكون صالحة للنشر، تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة عليها، وخلاف ذلك لا يتم استلام البحث، وستتم مراجعة البحث من قبل هيئة التحرير للتأكد من التزام الباحث بالأخذ بجميع الملاحظات المثبتة من قبل المقيمين.

١٤. تُعبِّر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، لا عن رأي المجلة.

١٥. تنشر المجلة أعدادًا خاصة بالمؤتمرات العلمية المتوافقة مع تخصص المجلة.

١٦. أجور نشر البحث: يدفع الباحث (٥٠) ألف دينار لتغطية أجور التحكيم، ويكمل دفع بقية الأجور عند قبول البحث للنشر.

١٧. تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف على ضوء المنهج العلمي الدقيق الكامل.

١٨. يزود الباحث بنسختين مستلة، بعد النشر.

٢٠. يتم إرسال الأبحاث على منصة المجلة .https://journal.imamaladham.edu.iq/index.php/al-Imam-Al-Adham/user/register. أو من خلال مسح رمز QR في أعلى الصفحة.

شروط النشر (الفنيَّة):

١- يقدّم البحث بملف واحد، يبدأ بالعنوان وينتهي بالمصادر، وألَّا يزيد على خمس وعشرين صحيفة.

٢- تكتب الهوامش داخل المتن وبين قوسين (APA) النظام الامريكي وكما ياتي :

- مع تطور الحياة (الزمخشري، ١٩٩٩: ٣٥).
- قائمة المصادر باللغة العربية (APA).
- قائمة المصادر باللغة الانكليزية.

٣- حجم الخط لـ (١٦).

٤- نوع الخط باللغة العربية ((Simplified Arabic واللغة الإنجليزية (Times New Roman)) .

- ملاحظة: في حال عدم الأخذ بشروط النشر نعتذر عن استلام البحث ونشره.

- يمكن زيارة موقع المجلة في مبنى الكلية في سبع إبكار أو التواصل عبر البريد الإلكتروني magazine@imamaladham.edu.iq.

أو الاتصال بمدير التحرير عبر الهاتف (٠٠٩٦٤٠٧٧٣٢٤٣٥٦٩٣)، ويمكن الاطلاع على أعداد المجلة عن طريق موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.https://www.iasj.net/iasj/journal/224/issues.

مميزات المجلة:

١- سياسة الوصول المفتوح: جميع الأبحاث متاحة مجاناً فور نشرها.

٢- تُنشر أربعة أعداد سنوياً منذ عام ٢٠٠٥.

٣- تستخدم برامج متقدمة للكشف عن الانتحال لضمان الأمانة العلمية.

٤- تُعنى بنشر الأبحاث التي تواكب التطورات وتسهم في معالجة قضايا المجتمع والحد من الظواهر السلبية.

٥- تنشر أعمال المؤتمرات والندوات المتخصصة.

كلمة العدد الخامس والخمسين

شهرُ تتجلى فيه الأنوار الربانيّة، فهو ميدانُ الأسرار، ومنحةُ الرحمن لعباده ، ليستنقذوا قلوبهم من أدران الغفلة، ويستعيدوا صفاء الفطرة ونقاء السريرة.

فيه تتنزّل الرحمات، وتُضاعف الحسنات، وتُقال العثرات ، وتُفتح أبواب الجنان، وتُغلّق أبواب النيران، وتصفّد مردة الشياطين.

هو شهرُ القرآن الذي أشرق فيه نور الهداية على الوجود، فاستنارت به العقول، واطمأنّت به القلوب، واستقامت به السبل.

في رمضان نستلهم أبرز معاني العبودية في أبهى صورها ، صيامٌ يزكّي الإرادة ويهذّب الشهوة، وقيامٌ يرقّي الروح في مدارج القرب، وصدقةٌ تُطهّر المال وتغرس في المجتمع روح التكافل والتراحم. هو مدرسةٌ ربانيةٌ تُعلّم الصبر، وتغرس التقوى، وتُحيي الضمائر، حتى يغدو الإنسان أصفى قلبًا، وأسمى خلقًا، وأقرب إلى ربّه.

هيئة التحرير

المحتويات

١. فليح بن سليمان الخزاعي وأقوال علماء الجرح والتعديل فيه - دراسة نقدية -..... ١١
أ.م.د. أحمد عواد جمعة.....
٢. التجديد في تطبيق السنة النبوية التدرج في دعوة غير المسلمين - أنموذجا - ٤١
أ.م.د. أيوب حميد لطيف.....
٣. الصُّورةُ الفَنِّيَّةُ وَالظَّواهرُ الأُسلوبيَّة في مَراثي خالد رشيد الجميليِّ (ت:٢٠٢٢م) ٧١
أ.م.د. عبد الرحمن خلف مطلب.....
٤. الأبعاد التنمويّة لتسريع توزيع الميراث دراسة في ضوء النظام الاقتصادي الإسلامي .. ١٠٣
أ.م.د. فائز محمد جمعة الكبيسي .....
٥. آيات العمران البشري في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم الاجتماع التفسيري... ١٣١
أ.م.د. محمد خليفة علي .....
٦. إشارة النص في السنة النبوية (باب العبادات) دراسة أصولية - نماذج تطبيقية -..... ١٦٣
أ.م.د. وسام ياسين جاسم.....
٧. سِيَاقات النَفْس البَشَرِيّةِ فِي الْقُرآنِ الكَرِيم - دِراسَةِ دَلَالَية - ١٨٧
م.د. انتظار عبد علي محيي .....
٨. إمامة المرأة في الصلاة - دراسة فقهية مقارنة - ٢١٥
م.د. حمزة عبد العزيز محمد العاني .....
٩. الأعمال في مفهوم الإيمان وأثرها في إصلاح المجتمع - دراسة تفسيرية تحليلية -.... ٢٤٣
م.د. زياد سالم توفيق.....
١٠. الرواة الذين قال فيهم الإمام يعقوب بن شيبة إلى الضعف ما هو دراسة وصفية إستقرائية ٢٦٧
م.د. محمود منصور عبد الكريم .....
١١. آيات السفر في القرآن الكريم - فوائدها ودلالتها..... ٢٩٥
م.د. منى عادل محمود .....

١٢. فاعلية الانزياح في تشكيل بنية المشهد الشعري في شعر عليَّة بنت المهدي..... ٣١٩
م.م. إنتصار أنور عمر محمد .....
١٣. الأمير حصن الدين ثعلب وتداعيات ثورته سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م. في مصر في عهد المماليك - دراسة تاريخية ٣٤٥
م.م. رسل فاضل حسن .....
م.د. آمنة حميد حمزة.....
١٤. مواجهة جرائم الذكاء الإصطناعي في القانون الدولي العام..... ٣٧٥
م.م. سعاد خضير محمود عواد المشهداني .....
١٥. تحليل محتوى كتاب التربية الإسلامية للصف الأول متوسط في ضوء مهارات الخيال العلمي ٣٩٧
م.م. قتيبة علي حسين .....
١٦. المحتوى المسيء في مواقع التواصل الإجتماعي وأثره على المجتمع العراقي..... ٤٢٥
م.م. محمد أحمد علي .....
١٧. الجبال في القرآن الكريم - دراسة موضوعيَّة تحليليَّة - ٤٤٩
م.م. محمد حمزة حمد .....
١٨. التهابات الحلق في ضوء الممارسات الدينية والتقليدية وعلاجها عند الأطفال دراسة مقارنة بين اليهودية والإسلام (العذرة والاسكارا إنموذجا)..... ٤٧١
م.م. مريم محمد صالح خليل .....
١٩. مسؤوليةُ الأضرارِ الخوارزميّة التكييفُ الفقهي لمسؤولية مزوِّد النماذجِ الكبيرة عن الانحيازِ واتخاذِ القرار الآلي ٤٩٧
م.د. خليل كريمان عودة .....
٢٠. مفهوم الرحمة في سورة مريم دراسة في ضوء التحليل اللغوي والسياقي ٥٣١
م.م. أنوار خليف رجه محمد .....

الصُّورةُ الفَنِّيَّةُ وَالظَّواهرُ الأُسلوبيَّة
في مَراثي خالد رشيد الجميليِّ (ت:٢٠٢٢م)

Artistic Imagery And Stylistic Phenomena In The Elegies.

Of Khalid Rashid Al - Jumaili (D. 2022).

إعداد الباحث

أ.م.د. عبد الرحمن خلف مطلب

كلية الإمام الأعظم الجامعة

Researcher:

Asst. Prof. Dr. Abdulrahman Khalaf Mutalib.

Al - Imam al - Adham University College.

تاريخ استلام البحث : 20/1/2026

الملخص

يعدّ الرِّثاء من الأغراض الشِّعريَّة الرئيسة التي شاعت في الشِّعر العربي منذ العصر الجاهليِّ، فهو - غالبًا - يكتنفه الصِّدق الفنِّي وتكون العاطفة فيه متوهِّجة، والشَّاعر المُعاصرُ خالد رشيد الجميلي ممَّن اشتهروا بهذا الفن، فرثى نفسهُ، وإخوته، وأصدقاءه، وشيوخه، بقصائد ومقطوعات تفيضُ حزنًا وتفجُّعًا، وتخلِّدُ ذكرى المَرثيِّين، وكان يستندُ في مراثيه إلى الصُّورة الفنِّية فهي خيرُ مؤثِّرٍ في المتلقِّين، كما استند إلى أساليب لغويَّة منحته مساحة للتنفيس عن نفسهِ، وعن الآخرين، كما مثَّلت مساحةً للإبداع التعبيري، وميدانًا رحبًا للتَّفنُّن في الأساليب.

الكلمات المفتاحية: (الرثاء - الجميلي - الصُّورة - الأساليب - الشعر).

Abstract:

Elegy Is One Of The Principal Poetic Genres That Has Been Widespread In Arabic Poetry Since The Pre - Islamic Era. It Is Often Characterised By Artistic Sincerity And An Intense Emotional Charge. The Contemporary Poet Khalid Rashid Al - Jumaili Is Among Those Who Became Renowned For This Genre. He Composed Elegies For Himself, His Brothers, His Friends, And His Teachers, Producing Poems And Poetic Fragments That Overflow With Sorrow And Lamentation And That Immortalize The Memory Of Those Mourned.

In His Elegies, Al - Jumaili Relied Heavily On Artistic Imagery, As It Represents One Of The Most Effective Means Of Influencing Recipients. He Also Employed Various Linguistic And Stylistic Devices That Provided Him With Space For Emotional Release, Both For Himself And For Others. At The Same Time, These Devices Constituted A Domain For Expressive Creativity And A Broad Field For Stylistic Variation And Artistic Refinement.

Keywords: (Al - Jumaili, Imagery, Stylistic Devices).

المُقدِّمة

لعلَّ مِنْ أشدِّ البيئات ارتباطًا بالرِّثاء البيئة العراقيَّة، التي ارتبطت بالاضطرابات في القرن العشري، والقرنِ الحادي والعشرين الذي لم تمضِ إلَّا ثلاثٌ منه حتى احتُلَّ العراق، ثمَّ عاش اضطرابات وتقلُّبات لا تخفى على القاصي والداني، وكان الانسانُ وقودها، فإذا أضفنا إلى ذلك أنَّ الموت هو الحقيقة الوحيدة في الحياة وأنَّ الفقدان شديد الوطأة على القلوب علمنا مقدار المساحة التي اتَّخذها الرِّثاء.

فإذا أضفنا إلى ذلك أنَّ شاعرنا الجميلي هو القائل عن نفسه: «حتى النسيم يؤلمني « علمنا مقدار رهافة حسِّهِ ورقَّة طبعه تجاه الفقدان، وهو الذي فقد حبيبتيه (عينيه) منذ الطفولة فغشيته الأحزان وكانت رفيقًا لا يفارقه، فصارت الأحزانُ شعاره فكيف إذا انطلق راثيًا؟!؛ ولذلك كلِّه جاء اختياري هذا العنوان: « الصُّورةُ الفَنِّيَّةُ والظَّواهر الأسلوبيَّة في مراثي خالد رشيد الجميلي « موضوعًا لبحثي، فلم أتناول منه بالدِّراسة إلَّا ما شكَّلَ ظاهرةً بالمعنى اللغويِّ والاصطلاحيِّ، ولا شك أنَّ هذه الدراسة –وهي بحثٌ علميٌّ - لا يُمكنها الإحاطة بجميع مواطن تلك الظواهر، وإنَّما تعطي نماذج.

وقد قسَّمته إلى مقدِّمة ومبحثين وخاتمة، كان المبحث الأوَّل: الصَّورة الفنية، تناولتُ فيه التشبيه والاستعارة والكناية، في حين كان المبحث الثَّاني الظوهر الأسلوبيَّة، تناولت فيه خمسة ظواهر: الاستفهام، والنداء، والتناص، والتكرار، والشرط.

وحاولتُ فيه بيان مواطن الحسن والجمال، أو غير ذلك، في الصُّورة والأساليب.

تمهيدٌ

تعريفٌ بمفردات العنوان

أوَّلًا: تعريف الصُّورة الفنِّيَّة: مع كثرة التعريفات واختلافها للصَّورة إلَّا أنَّنا يُمكننا اعتماد تعريف الدكتور حسين البار بقوله: «الصّورة الفنِّيَّة: تشكيلٌ لغويٌّ، يعمد فيه الشَّاعر إلى تجسيد المعاني المجرَّدة في هيئةٍ تُعاينُها الباصرةُ - ومن هنا نصفُهُ بالمرئي - في مقابل المسموع الذي يتصل بالإيقاع، وقد يتجلَّى ذلك التشكيل اللُّغويّ في بِنىً بيانيَّة، وقد ينسابُ حُرًّا لا يتأطَّرُ في بنيةٍ مخصوصةٍ، وقد ينبثقُ من ثنايا بنيةٍ بيانيَّة، ثمّ ينفرط في هيئةٍ سرديَّة «(حسين: ٤٩)، وقد كانت الصّورة مقتصرةً على الصّورة البيانيَّة، ثمَّ تطوَّر هذا المفهوم واتَّسع إلى أنماط أخرى، كالسَّمعيَّة والبصريَّة والذَّوقية وغيرها.

ثانيًا: تعريف الظواهر الأسلوبيَّة: الظواهر جمع ظاهرة، وجذرها اللغويّ (ظهر)، قال ابنُ فارس: «الظَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ. مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ»، (ابن فارس: ١٧٣/٣) ولا يبتعد المدلول الاصطلاحيّ عن المدلول اللغويّ، فلا ندرسُ إلَّا ما يُمثِّل ملمحًا قويًّا بارزًا. في شعر الجميلي.

أمَّا الأسلوبُ فأشهرُ ما ذكره المختصّون له من تعريفاتٍ وأقربها إلى مدلوله: «إنّ الأسلوبَ هو طريقة الكاتب، أو الشَّاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام» (الزيات: ١٩٦٧: ٧٠)، وإنّه: «طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها؛ للتَّعبير بها عن المعاني؛ قصدَ الإيضاح والتأثير» (الشايب: ٤٤).

ثالثًا: تعريف المراثي: المرثاة والمرثية، ما يُرثى به الميِّتُ من شعرٍ في القصيدة، أو كلمة، قال ابن رشق القيرواني: «وليس بين الرِّثاء والمدح فرقٌ؛ إلا أنَّه يُخلط بالرِّثاء شيءٌ يدلُّ على أنَّ المقصود به ميِّتٌ، مثل (كان)، أو (عَدِمنا به كيت وكيت)، وما يشاكل هذا وليُعلم أنَّه ميِّت، وسبيلُ الرِّثاء أن يكون ظاهرَ التفجُّع، بَيِّنَ الحسرة، مخلوطًا بالتلهُّفِ، والأسفِ، والاستعظام» (الأزدي: ١٩٨١: ١٤٧/٢).

رابعًا: التعريف بخالد الجميلي: خالد رشيد جاسم الجميلي، شاعرٌ عراقيّ، ولد ببغداد سنة ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م، نشأ في بيت علمٍ وديانة، كان عالمًا بالفقه والتفسير والأدب، نال

شهادة الماجستير والدكتوراه في الفقه الإسلامي، درَّسَ في الجامعات العراقيَّة، له مؤلفات كثيرة في علوم الشَّريعة، له أربعون كتابًا، ومجموعة كبيرة من البحوث العلميَّة، توفي سنة ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢/٨/٢٤م(الحلبوسي). ، وقد جُمع معظمُ شعره في ديوان اسمه: (حوارٌ مع الدنيا) مطبوعٌ متداول، وبعد استقراء الدِّيوان ظهر أنَّ الرِّثاءَ يُمثِّل رُبعَ شعره.

المبحث الأوَّل
الصُّورةُ الفنِّيَّة

أوَّلًا: الصُّورة التشبيهيَّة:

التَّشبيه هو «الدَّلالة على مشاركة أمرٍ لآخر في المعنى» (أبو المعالي: ١٩٧١: ١٢١)، والتشبيه من أكثر الصُّور البيانيّة ظهورًا في الأدب العربي، ويُعدُّ من أيسر الوسائل البيانيّة في تقريب المعاني، والقدرة على الجمع بين الأضداد (الحمداني: ٨٩).

وعلى الرَّغم من كون الجميلي كفيفًا إلَّا أنَّنا نجد عنده صُورًا تشبيهيَّة رائعة، ومن تلك التشبيهات التشبيهُ المرسل المُجمل، ومنه قوله في رثاء أستاذه عبدالكريم زيدان:

حتَّى إذا جنَّ الظَّلامُ حَسِبتُهُ كالشَّمسِ يأفلُ ثمَّ يبزغُ مَرحبا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ٩٩).

فقد شبَّه أستاذه بالشَّمس، ولم يكتفِ بذلك بل قرنَ التشبيه بما يلائم المشبَّه به وهو ما يسمَّى بالترشيح، والترشيح أبلغ؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة، ومبناه على تناسى التشبيه (السبكي: ٢٠٠٣: ١٨٠/٢) ؛ وذلك لأنَّ المتلقي حين يسمع أنَّه كالشمس فكأنَّه يرى صورتين: صورة الشمس وصورة الممدوح المقرونة إليها، ولكنَّ الإيغال في إطلاق أوصاف الشمس عليه –وهي البزوغ والأفول - يشعرنا أنَّنا ننظرُ إلى شمسٍ على الحقيقة، لا إلى مُشبَّهٍ يحمل بعض صفاتها، وتشبيهه بالشَّمس مبالغةٌ في وصفهِ بإنارة الدنيا، وبكونه من أهمِّ لوازم الحياة، فإذا رأينا أنَّه وصفه بشمسٍ في دُجنَّةِ الظلام علمنا مقدار ذلك النَّفع وتلك الإضاءة، فإنَّ الإضاءة بين الظَّلام تكون أشدّ وأظهر وأجمل، وفي اختيار الدجنَّة إشارة إلى ما يُحيط بذلك العالمِ من ظلمات الباطل والجهل، وتبديده تلك الظلمات.

وفي القصيدة نفسها نجد أبعادًا أُخر يلقيها الجميلي على تشبيهاته حين يقول:

قد كُنتَ بحرًا لا ضفافَ تحدُّهُ ما كُنتَ بحرًا مُغبرًا أو مُتربا
بل كنتَ بحرًا للشريعةِ زاخرًا والاستقامةُ قد تجلَّتْ مَركبا
أنَّى رحلتَ فأنتَ طودٌ شامخٌ وَنَشَرتَ علمًا شامخًا ومؤدِّبا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ٩٩).

فإنَّ التشبيه بالبحر قديمٌ لاكتْهُ ألسنُ الشُّعراء والأدباء والعامَّة، ولكنَّ الجميلي أضاف إليه

معاني تزيده عمقًا، فالمرثيُّ بحرٌ بلا ضفاف، فهو غير مترامي الأطراف، إنَّه بلا أطرف أو حدود؛ لسعةِ علومه ومعارفه، وليس ذلك فحسب بل لم يُخالطه غبارٌ أو يكدِّره تُراب، والغبارُ هو ما تطايرَ من التراب، فجمع الشاعرُ بينهما إشارةً إلى عدم تأثُّر ذلك العالم الكبير بقليلٍ من الانحراف، أو كثير، وهذا يشير إلى شدَّة الصَّفاء، وينطلقُ في البيت الأخير إلى وصفه بالجبل الشَّامخ الذي لا تهزُّه الزلازل الفكريَّة، ثمَّ يأتي بمناسبةٍ لفظيَّة لطيفة وعميقة حين يجعله (ينثر) العلم، ولم يجعله (ينشر)، فالنَّاثرُ يكونُ مرتفعًا، وهذا الارتفاع هو الارتفاع المعنويّ وعلوّ المكانة، وهذه صورةٌ بصريَّةٌ جميلة.

ومثلهُ في الترشيح للتشبيه قوله في رثاء سعيد حليبي الجميلي:

رأيتُكَ روضةً آوتْ جياعًا يتامى الحيِّ والشيخَ الجليلا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٠١).

فشبَّهه بالروضة على طريق التشبيه المؤكَّد بحذف أداة التشبيه، والتقدير: كالروضة، ثمَّ يأتي بما يجري على الطرفين المشبه والمشبه به من إيواء الجياع وكبار السِّنِّ، تاركًا أمامنا صورة إنْ تأمَّلنا وجدنا جانبي المحسوس والمعقول حاضِرَين، فالإيواءُ معنويّ ومادِّي، وعمل الروضة له هذان الجانبان أيضًا، وهذا الكرم ممزوج بالرحمة التي فاضتْ من المرثيِّ على أضعفِ النَّاس: اليتامى والشيخ الطَّاعن في السِّن، وهذا العطف دليلٌ على الرحمة النابعة من الإيمان، وليس دليلا على الكرم فحسب.

والتناسبُ في اختيار أطراف التشبيه ووجه الشبه أمرٌ واضح للعيان عند الجميلي، وإنْ كان تشبيهه من التشبيهات المتداولة عبر الزمن، ومنه قوله في رثاء أخيه الأستاذ عبد المجيد الجميلي:

وَلِيُّ اللهِ خِلناهُ سِراجًا مُحيَّاهُ هلالٌ فجرُ عيدِ
صبورٌ مثلُ أيّوبِ النَّبيِّ أشَمٌّ قاهرٌ غدرَ العُهودِ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٣).

فانظُرْ كيف وظَّفَ التشبيه المرسل المجمل ليصف أخاه بأنَّه وليّ الله، وهذا تصريحٌ بشدَّة اتباعه الشريعة، ثمَّ شبَّهه بالسراج في صدر البيت مع ذكر الأداة (خلناه) وإنْ لم نشعر بوجودها، ثمّ يسبغ عليه ما يناسب الوصف الدِّيني من كونه سراجًا، وينتقل إلى وصف النور المتلألئ من وجهه؛ لكثرة الطاعات فيشببه بالهلال، ويتعمَّق فيلقي عليه جمال الهلال يومَ فجر العيد، ذلك العيد الذي يبث في النفوس الأفراح، كما يشبهه بالنَّبيِّ أيوبuفي الصَّبر،

وأنَّه عزيزُ النفس لا يقبل نقض العهود بحالٍ من الأحوال.

ومن تشبيهاته الجميلة قوله في مطلع مقطوعةٍ في رثاء أخيه عدنان:

كُنَّا يدًا إخوةً خمسٌ أناملُها قد عوَّقَ الموتُ طولَ العمر نشوانا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٤).

فتشبيه الإخوة بأنامل اليد إشارة إلى شدَّة التماسك وعدم التفرُّق بحالٍ من الأحوال، إلَّا عند القطع والبتر وهذا ما حصل للمرثيِّ.

ونجد الجميلي يقلب الصُّور ويتصرَّف فيها في التشبيه المرسل المجمل؛ إمعانًا في وصفِ شجاعة المرثيِّ، ومنه قوله في رثاء صديقه عامر القرغولي:

يستقبلُ النَّارَ كالمقرورِ يطلبها ما كان عامرُكمْ يومًا بمُنهزمِ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٦).

نلحظُ هنا استعانة الشَّاعر بأداة التشبيه الكاف التي كانت خير معين له في تلك العملية التصويرية، حيث استفاد من اتفاقهما في القدرة على الجمع بين عناصر متناقضة ليخلق بينها جوًّا من التماثل والتوازن والتوافق(الحمداني: ٢٠٠٠: ٨٢)، فذلك الصديق كان يستقبل نيران أسلحة الغزاة، ومع أنَّها نارٌ قاتلة على الحقيقة لكنَّ صورتها هنا وصورة المرثيّ تختلف فحين نرى شِدَّةَ إقدامه نجده كالشجاع الذي أصابه البرد فيجد في نيران أسلحة المهاجمين دفئًا يلتجئ إليه، وهل هو إلَّا دفءُ الشَّهادة في سبيل الله تعالى.

وليست تشبيهاته على نسقٍ واحدٍ في تناسب الألفاظِ أو القوَّة، فقد يكون التشبيه غير عميق، أو غير واضح، كقوله في رثاء شيخه علي الخفيف:

لكنَّ عقلهُ فوق الصَّخر أحسبهُ كالشَّافعيِّ أديبًا فقيهًا إذ أُجاذبهُ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١١).

فما الرَّابط بين الصَّخر والعقل؟ ولاسيَّما أنَّه تكلَّم في العجز عن وصف المرثيِّ بالأديب، والأديبُ رقيق الطَّبع والخلق، مع أنَّ التشبيه بالإمام الشَّافعي فيه وصفٌ للمرثيِّ بما يجلّ ويعظم.

ثانيًا: الصورة الاستعاريَّة: الاستعارةُ «لفظٌ استُعمل في غير معناه الأصلي، بشرط أن تكون العلاقة بين ما استعمل فيه الآن وبين ذلك الأصليِّ المشابهةُ» (المغربي: ٢ / ٢٦٩)، وهي تشبيهٌ حُذف أحدُ طرفيه، فإنْ حُذف المشبه كانت تصريحيَّة، وإنْ حُذف المشبه به كانت مكنيَّة، وتكمن أهميّة الاستعارة في الدراسات الأسلوبية في أنّها تمثل نوعًا من أنواع التكثيف

الفنِّي المعبّر عن طاقةٍ تخيليّةٍ هائلةٍ، نابعة من العلاقة الانزياحيّة بين المشبّه والمشبّه به، فالصُّورة الاستعارية تقوم على علاقاتٍ تخيليّة، تجمع أشياء قد تكون أصلاً متنافرة، فيقوم الأديبُ بالرَّبط بينها بجملة روابط تبدو في غاية الانسجام (أبو العدوس: ١١).

ومن الصُّورة الاستعاريَّة المبنيَّة على الاستعارة التَّصريحية قول الجميليّ في رثاء أخيه عبدالحميد:

رأيتُكَ بحرًا في الفضيلةِ زاخرًا رأيتُكَ جيشًا لا يريبُ به عزمُ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٧).

فقد أورد هنا استعارتين في الصَّدر والعجز، فجعله في الأولى بحرًا زاخرًا بالفضائل يشتمل عليها ويَهبُ منها النَّاسَ لينتفعوا منها، مع سعةٍ فيه مترامية الأطراف، ثمَّ جعله جيشًا شديد العزم لا يتزعزع، والجمعُ بين هاتين الصفتين مقصودٌ؛ لأنَّ الشجاعة والكرم أبرز صفات العرب.

أمَّا الاستعارةُ المكنيَّة فهي الأكثرُ حضورًا في شعره، ومنه قوله في رثاء سعيد حليبي الجميلي:

رَثَيتُكَ يا عميدَ الجيشِ حقًّا فأبكمني المُصابُ ولم أقولا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٠٢).

فقد جعلَ المُصابَ كالفاعل الحقيقي، وجعلهُ يُسكتُ الراثي، وهذا تشخيصٌ حيٌّ للمُصاب للسَّامع والمتلقي ينبضُ بصورةٍ بصريَّة، تجعلنا نرى المُصابَ حيًّا شاخصًا يفعل على الحقيقة، وقد اختارَ البكم لأنَّ الأبكم هو من خلق أخرس لا يتكلم (الهندي: ١٩٦٧م: ٢٠٨/١)، فكأنَّه لم يضع يديه بكلِّ ما أوتي من قوَّة على الشاعر؛ ليمنعه القول، ولكنَّه من شدَّة تأثيره عليه جعله كم وُلدَ على هذه الصِّفة، فهو لا يمنعُ الشاعر من المدح والثناء والرثاء، ولكنَّه يمنعه حتى من أيِّ قول، وهذا الوصف غايةٌ في المبالغة في وصف أثر المصيبة.

ومن المكنيَّة قوله في رثاء شيخه علي الخفيف:

لمْ يُنجبِ النِّيلُ في العشرين مثلُ سَنا عقلِ الخفيف التي كانت كواكبهُ
في كُلِّ أمَّتنا للباحثين هدى ما خِلتُ في مصرَ صنديدًا يُقاربه

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١١).

فصوَّر النيلَ رجلاً متزوجًا أنجب أبناءً لكنَّهم لم يبلغوا مبلغَ المرثيِّ، لا بل لم يبلغوا (سنا عقله)، وهو شيءٌ من ضيائه، فكيف يبلغون كلَّ ما فيه؟!، ثمَّ جَعَلَ له كواكب تنطلقُ منه تنير دروب الباحثين في ظلمات الجهل.

كما يُبدع الجميلي في وصف أثر فراق المرثيِّ عليه وعلى محبيه، ومنه قوله في مطلع مقطوعةٍ في رثاء أخيه عدنان:

قُلوبُنا مُلئتْ جمرًا وأحزانا إذ يخطفُ الموتُ نورَ العينِ عدنانا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٤).

فقد صوَّرَ القلوب وشبَّهها بالكوانين، ثمَّ حذف المشبه به وأشار إليه بشيءٍ من لوازمه وهو الملء، والجمرةُ الواحدة تُحرق القلب، فكيف إذا امتلأ القلبُ جمرًا؟!، لا شكَّ أنَّ في ذلك غاية الألم والتلف، وغايةً في تصوير أثر نزول تلك المصيبة.

ومن إبداعاته اتِّكاؤه على الاستعارة التمثيلية، وهي «اللَّفظ المُركَّبُ المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصليِّ تشبيه التَّمثيل؛ للمبالغة في التشبيه، أي: تشبيه إحدى صورتين مُنتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها؛ مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغييرٍ بوجه من الوجوه « (أبو المعالي: ١٩٧١: ٣٢١)، و(السيوطي: ٢٠١١: ٢٢٩)، وهي فنٌّ صعبُ التكييف والتأليف، ومنه قوله في رثاء جمال جمعة الجميلي:

ملكُ القضاءِ بلا سلامٍ عاجلاً أو آجلاً آتيكمُ هيَّا اركبوا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٥).

فقد استعارَ لملك الموت صورة ملَك القضاء، وجعلهُ رُبَّانًا على سفينةٍ يقودُها، وجعله يدخل بلا سَلامٍ، وبلا استئذان، فهو لمْ يأتِ للسَّلام وإنَّما جاء لمهمَّةٍ محدَّدة لا يعدوها، وذلك المَلَكُ يمرُّ بسفينته ينادي من أُمر بقبض أرواحهم بالركوب، وليس لهم الخيارُ بالرفض أو القبول، إنَّما هو أمرُ الله يُمضيه على كلِّ مخلوق، وهذه الاستعارة كأنَّها تجري مجرى الأمثال السَّائرة.

ومنه قوله في رثاء صديقه عامر القرغولي:

زَفُّوكَ ياعامرٌ للحُورِ مزدهرًا صوتُ الرّصاص كعزفِ النَّاي والنَّغمِ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٦).

فاستعار الزِّفاف للتشييع؛ مبالغةً في تصوير إكرام الله تعالى له. وهناك صور استعاريَّة كثيرة في شعره استندت إلى التمثيل والتجسيم والتشخيص. (ينظر: الجميلي: ٢٠١٩: : ٩٩، ١١١، ١١٤، ١٨٢).

. ثالثًا: الكناية: «لفظٌ أُريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذ « (أبو المعالي: ١٩٧١: ١٨٣)، وقسَّم البيانيون الكناية بحسب المراد منه إلى ثلاثة أقسام: الكناية عن

الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة (السبكي: ٢٠٣٣: ٢/ ٢١٠ - ٢١٦)، في حين انصبّ اهتمام الأسلوبيين في الكناية على حيويتها التصويريّة وقدرتها على الإيحاء والتلميح والترميز والإشارة.

وكانتِ الكناية عن صفةٍ في شعرِ الجميلي أكثر الكنايات، ومنه قوله في رثاء شيخه علي الخفيف:

ماتَ الخفيفِ وما ماتت مواهبُهُ بحرُ الشَّريعةِ إنَّ اللهَ واهبُهُ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١١).

ففي قوله (وما ماتت مواهبُهُ) كناية عن صفةٍ، فالموتُ هو للأجسادِ فناءٌ، وعدم الموت هو الخلود، خلودُ المناقب، وفي اختيار الموت للفضائل مشاكلةٌ لفظيَّة ومُقابلةٌ جميلة، حيث عبَّر عن الذَّهاب بالموت، وعن البقاء بالخلود، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الجسَدَ ذاهبٌ، والمواهب والأعمال والهِبات هي الباقية، كما نلحظُ في عجز البيت ردٌّ للعجز على الصَّدر في (إنَّ اللهَ واهبُهُ) جاء به الشَّاعرُ توكيدًا لمضمون الصَّدر، وترسيخًا لمعنى أنَّ ما وهبَهُ اللهُ لعبده لا يسلبه إلَّا الله تعالى.

ومنه قوله في رثاء عينيه:

دَعوني على الدّنيا أشقُّ وألطمُ فلا خيرَ في الدُّنيا إذا النُّورُ مبهمُ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٤٢).

ففي قوله: (أشقُّ وألطمُ) كناية عن صفةٍ هي شدَّةُ الحزن والجزع؛ فإنَّ شَقَّ الثياب ولطم الخدود دليل ذلك، وقد أشعرنا الإيجاز في حذف مفعولَيْ (أشقُّ وألطمُ) بشدَّة الحزن والجزع اللَّتين يُصاحبهما عدم القدرة على إطالةِ الكلام، والجميلي لا يفترُ يذكر عينيه، مع أنَّ ما ورد من سيرته يدلّ على رضاه بقضاء اللهِ تعالى وقدره.

وأمَّا الكناية عن موصوف، فمنها قوله في رثاء جمال جمعة الجميلي:

اللهُ أعلمُ بالقضاءِ فسلِّموا حمدًا لربٍّ حُكمُهُ لا يُغلبُ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٥).

فقوله: (لربٍّ حُكمُهُ لا يُغلبُ) كنايةٌ عن موصوفٍ هو الله تعالى فهو الرَّبّ الذي لا يُغلبُ حكمه، وجاءت هذه الكناية لبثِّ التسليم والرضا بقضاء الله في نفوس أهل الفقيد.

ومنها قوله في رثاء أخيه الكبير عبدالستار الجميلي:

رَشيدُ يا سرنا صُهيبُ كلّهمو يفدون عمَّهمو الميمونَ بالقدرِ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٩).

ففي قوله: (عمَّهمو الميمونَ) كناية عن موصوفٍ هو عبدالستار، وإنَّما كنَّى عنه بيانًا لمنزلة العمِّ ومكانته في قلوب أبناء أخيه، وشدَّة تعلّقهم به، وإظهارًا للتفجُّع عليه.

أمَّا الكنايةُ عن نسبةٍ، فهي قليلة في شعر الشعراء نظرًا إلى دقَّتها وصعوبة تأليفها، لكنَّها كانت حاضرة عند الجميلي، ومنها قوله في رثاء سعيد حليبي الجميلي:

سَرى الإخلاصُ في دمهِ المُزكَّى فـفـاضَ بـه وصَـيَّـرهُ قـتـيلا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٠١).

فقد مدحه بصفةِ الإخلاص، لكنَّه لم ينسب الإخلاص إليه صريحًا، ولكن نسبه إلى شيءٍ له تعلُّق به، وهو الدَّم، والغاية من هذه الكناية مدحه بكون كلِّ حركاته وسكناته إخلاصٌ؛ لأنَّ الدَّمَ هو محلّ طاقة جسم الإنسان، فمن كان دمه ضعيفًا مملوءً بالأمراض، كان ممراضًا، ومن كان دمه يسري فيه الإخلاص كانت حركاته وسكناته إخلاصًا مطلقًا. ومثله قوله في رثاء شيخه علي الخفيف:

النُّبلُ والعلمُ والأخلاقُ في دمهِ تسري إلى القلبِ سيرًا ما يُجاذبهُ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١١).

ومنها قوله في رثاء صديقه عامر القرغولي:

يا آلَ شلَّال دُقّوا الطَّبلَ وافتخروا ضحَّى عقابكمو مشيًا على القدمِ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٦).

ففي قوله: (دُقّوا الطَّبلَ وافتخروا) كناية عن أمره لهم بشدَّة الفرح، فالإنسانُ لا يدقّ الطَّبل إلَّا إذا بالغ في إظهار فرحه، كلُّ ذلك ليقول الشاعر إنَّ عامرًا كالعروس الذي يجب أنْ يُزفَّ إلى جنَّة الخلد، لا أنْ يُحزن عليه ويُبكى.

هذه تطبيقاتٌ عامَّة للكناية في شعره وهناك غيرها كثير منثورٌ بين مراثيه, (الجميلي: ٢٠١٩م: : ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢٨، ١٤٧.).

المبحث الثَّاني
الظَّواهر الأسلوبيَّة

أوَّلًا: أسلوبُ الاستفهام: الاستفهامُ نمطٌ تركيبيٌّ في الجملة الإنشائية الطَّلبيَّة، مفادُهُ طَلَبُ العلم عن شيءٍ لم يكن معلومًا أصلاً (ابن الشجري: ٤٠٧/١)، إلّا أنّه غالبًا ما يخرج عن هذا المعنى إلى معانٍ بلاغيَّة أخرى يصعب حصرها؛ لكونها تتفرَّعُ على مساحةٍ شاسعةٍ من العواطفِ، والانفعالات، والسِّياقات، والمقامات الكلاميَّة (الغذامي: ٣٦٦).

ومن الاستفهام غير الحقيقيّ عند الجميلي قوله في رثاء مصطفى الزلمي:

مَنْ بَعدُكم يا فقيهَ العُربِ والعجمِ؟ إنِّي أخالكمو كالنَّارِ في الظُّلمِ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٢٨).

فنجدُ الاستفهام هنا باسم الاستفهام مَنْ الذي يستفهم به عن العاقل، وقد جاء مُعبِّرًا عن الحيرة التي يريد الشاعر إظهارها، فكأنَّه يبحث عن أحدٍ يخلف الفقيد، ثمَّ يبدأ بالسؤال عن مثله ثمَّ لا يجدهُ؛ لعُلوِّ منزلته، ثمَّ يُحاول مناجاة الفقيد نفسه سائلًا إيَّاهُ عن مثيلٍ، طاويًا في ثنايا هذا الاستفهام نفيًا قاطعًا عن وجود ذلك المثيل.

وقد نجده يُحوِّل الاستفهام الذي نستشعرُ أنَّه أقرب إلى الاستفهام الحقيقي إلى استفهامٍ بليغ مؤثِّر، كما في قوله في رثاء شبابهِ والبكاء على عينيه:

ما الشَّمسُ يا حسرتي، ما البدرُ يا ألَمي؟ سيَّانَ عندي فهل أستوحشُ اللَّحدا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٨٢).

فنجدهُ يتساءل ب(ما) عن ماهيَّة الشَّمس وعن القمر؛ لأنَّه لم يرهما طول حياته، ونشعر في طيَّات هذا الاستفهام حزنًا وألمًا عميقين، يعبِّران عن مدى أثر فقد البصر في نفس الشاعر وفكره وقلبه، فهو استفهامٌ لبثِّ الحزن والألم يُشركُ فيه المتلقِّي؛ عَلَّه يخفِّف ممَّا يجده في صدره.

وفي موضعٍ آخر نستشعر آلامًا أُخَر يبثها في الاستفهام حين يقول في مرثيَّته لشبابه وسردِه لواقعةٍ حدثت في طفولته:

خرجتُ مع الأترابِ يومًا لألعبنْ فقالوا: أيا أعمى أأصبحتَ جائيا
ركضتُ إليهم كي أمصَّ دماءهم فهل يُمسكُ الأعمى الذي صار عاليا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٣٨).

فهو ينقل إلينا صورة استفهام الأطفال مستعملًا الهمزة (الهمزة) وهي أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً في اللغة التواصلية(السامرائي: ٢٠٠٠: ٢٠٠)، ويستند إليها؛ ليشكو في الاستفهام الأوَّل: (أأصبحتَ جائيا) سُخرية أولئك الأطفال، فينقل إلينا استفهامهم السَّاخر المؤلم، ثمَّ يعودُ في عجز البيت الثَّاني باستفهامٍ خرج لمعنى النفي (فهل يُمسكُ)، نعم فلن يُمسك الأعمى أولئك، وإن حاول الانتقام منهم، وإن ركض نحوهم وبذل جهده في ذلك.

ومثله قوله في القصيدة نفسها:

إذا كنتُ في ليلٍ فأين نجومَهُ وإنْ كنتُ في صبحٍ أروني سمائيا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٣٨).

فهو يستفهم استفهام المتألِّم المتوجِّع عن نجوم الليل - لأنَّها هي التي تميِّز الليل -، فهو لا يراها، فقد استوى عنه اللَّيل والنهار، وباستعماله (أين) الدَّالَّة على السؤال عن المكان يجعلنا نشاركه شعور الكفيف، فمَنْ له أدنى درجة من البصر يعلم محلّ النجوم، لكنَّه غير ذلك.

وهناك مواضع أخرى للاستفهام مُختلفة الغايات باختلاف سياقاتها، وإنْ كانت لا تخرجُ عمَّا أوردته. (الجميلي: ٢٠١٩م: ٩٩، ١٠١، ١٠٠. ١١٥، ١٣٨).

ثانيًا: أُسلوبُ النِّداء: وهو أسلوب إنشائي طلبي، عرّف بأنّه تصويت بالمنادى للإقبال على الداعي، باستعمال حرف ناب مناب الفعل (أدعوا) (التفتازاني: ٣٣٣/٢)، وتختلف أدوات النداء في استعمالاتها من حيث نوع النداء، وموقع المنادى من حيث القرب والبعد، ف (الهمزة، وأي) تستعملان لنداء القريب، في حين تستعمل (يا، وأيا، وهيا) لنداء البعيد وما في حكمه من نائم أو غافل أو ساهي، و(وا) لنداء الندبة، وقد يعوّض الميم المشددة حرف (يا) في النداء بصيغة (اللهمّ) (ابن الأنباري: ٣٤١/١).

وقد تنوَّعتِ عند الجميلي أدوات النِّداء والغايات التي يخرج إليها في شعره، ومنه قوله في رثاء شيخه علي الخفيف:

يا أُمَّةَ العرب جودي بالليوثِ فإنّ الموتَ طاب لنا هانت مصائبهُ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١١).

ففي قوله: (يا أُمَّةَ العرب) استعمل (يا) وهو أصل حروف النداء (الزجاج: ٩)، وهو نداءٌ فيه إشعارٌ بشدَّة الألم لفقد الشيخ، أردفه الشاعرُ بالأمر حسرةً وتولُّهًا، واختيار (يا) بما فيها من انفتاح صوتيٍّ وطاقة صوتيَّة يُشعرنا أنَّ الشَّاعر يُريد إيقاظَ الأمَّة من غفلتها وسباتها العميق.

وقد يأتي بأداة النِّداء مُكرَّرةً، ومنه قوله في رثاء أستاذه عبدالكريم زيدان:

يـا وارثًـــا عـن أمـجـدٍ فـقـةَ الـسَّـمـا يـا مُـرشـديْ لـولاكَ مـا زَهــرَ الـرُّبـا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ٩٩).

فقد جاء بالنِّداء أوَّل كلَّ شطرٍ تعظيمًا للمرثيِّ وإظهارًا لفضائله وإذاعةً لمناقبه.

وكثيرًا ما كان يحذف حرف النداء، كقوله في رثاء الأستاذ عبدالمجيد الجميلي:

أصـيـحُ أبـا الـحـوامـدِ طـولَ دهـري ومـــا مِـــنْ حـامـدٍ غـيـر الـتَّـلـيـدِ

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١١٣).

والتقدير: (يا أبا الحوامد)؛ وإنَّما حذف حرف النِّداءِ إزالةً للحواجز بينهما، وإشعارًا بقرب المرثيِّ قربًا معنويًّا من قلب الشَّاعر، وحضوره في فكره وعقله.

ومثله قوله في رثاء أستاذه عبدالكريم زيدان:

عـبـدَالـكـريـم ولـم أزلْ لـكَ طـالـبًـا كُـنـتَ الـفـقـيـهَ وكـنـتَ حـقًّـا راهـبـا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ٩٩).

والتقدير: (عبدَالكريم)، فحذف إشعارًا بالتَّمازج المعنويِّ، والقرب القلبيّ الذي لا تبقى معه حواجز أو نوعٌ من البعد بحيث يحتاج معه إلى إطالة الصَّوت، وكأنَّها مناجاةٌ بين اثنين جالسينَ جنبًا إلى جنب.

وقد يُعبِّر النداءُ عن شدَّة الألم الذي لا يقوى معه الإنسانُ على الكلام وإطالة الصَّوت كما في ندائه لبغداد في قصيدته من رثاء أستاذه عبدالكريم زيدان:

بـغـدادُ جـودي بـالـدّمـوع عـلـى الـسَّـنـا قـد غـار دجـلـةُ فـانـدُبـي دُنـيـا الإبـا

بَغدادُ أضحى القلبُ في لهبِ الجوى فـي الـفـجـرِ أبـــي ثـــمَّ أبـكـي مغربا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ٩٩).

فالنَّدبُ والدّموع والبكاء ولهيب القلوب لا يمكن معها إطالة الكلام، بل الباقي البكاء فجرًا حتى المغرب.

وقد شاع حذفُ أداة النِّداء عنده حتى إنَّه ليمثِّل ظاهرةً بارزة في مراثيه لا يمكن تجاوزها.

وقد يجمع في بيتِ النداء بين ذكر الأداة وحذفها لغرضين مختلفين وإن اتحد المقام، ومنه قوله في رثاء أستاذه عبدالكريم زيدان:

إيــهٍ كـريـمَ الـخـيـر يـا بـدرَ الـدُّجـى أرَحـلـــتَ عـن دُنـيـا الـدَّنـيَّـة راغـبـا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ٩٩).

فقد حذف حرف النداء مِنْ (كريمَ الخير)، والتقدير: يا كريمَ الخير؛ إشعارًا بقرب خيره ودنوِّه من الجميع حتى كأنه لا يحتاج إلى من يناديه طالبًا منه، في حين صرَّح بحرف النداء في (يا بدرَ الدُّجى) إشارةً إلى علوِّ منزلة المرثي كعلوِّ البدرِ مكانًا ومكانة.

ولم يكن النداء ب(يا) فحسب، بل تكرَّرت (أيا) منه قوله في رثاء سعيد حليبي الجميلي:

أيـــا عَـيـنـيَّ جـــودا بـالـدُّمـوعِ فإنَّ الأنـــسَ قـد أضـحـى عـويلا

(الجميلي: ٢٠١٩م: ١٠١).

وهي لنداء البعيد، فكأنَّه مع شدَّة حزنه وبكائه يجد عينيه بعيدتين عن البكاء، فيستحثّهما بهذه الأداة، ونجده من شدَّة تفجعه يكرِّر النداء في البيت نفسه صدرًا وعجزا، فيقول في مطلع قصيدة في رثاء صديقه جمعة الجميلي:

يـا حـسـرةً إنَّ الـفـراقَ مُـعـذِّبٌ يـا نـكـبـةً إنَّ الـعـريـسَ مُـتـرَّبُ

(هـ - ٢٠١٩م: ١١٥).

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١١٥).

وكثيرًا ما كان يستند في النداء على (أيا) حتى أنَّهُ كررها في مقطوعةٍ من سبعة أبيات ثلاث مرَّات في رثاء رائد الجنابي (الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٧١).

ويجمع بين النداء والاستفهام في بيت واحد، فيقول في رثاء طه جابر العلواني:

أيـــا طـه الـمـكـارمِ أنـــتَ منـها مِـن الـفـلّـوج هـل أنـــتَ الـنَّـسـيـمُ؟

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٦٤).

وهناك مواضع أخرى للنداء توزَّعت على قصائد الرثاء فيه (الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١١٦، ١١٩، ١٢٨).

ثالثًا: التناص: «مصطلح نقديٌّ يقصد به وجود تشابه بين نصٍّ وآخر، أو بين عدة نصوص» (الخليل: ١٠٦)، فهو الاستعانة بنصوص أو أسماء ذات دلالة معيَّنة تثري النصّ، وتوجز الإشارة إلى المعاني المقصودة.

ومن التناص مع القرآن الكريم قوله في رثاء صديقه عامر القرغولي:

إنَّ الـشَّـهـيـدَ لَـحَـيٌّ خـالـدٌ فَـرحٌ سـواهُ مـوتـى قـضـى الـرَّحـمـنُ بالقلمِ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١١٦).

ففي البيت تناصٌ واقتباسٌ مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (آل عمران ١٦٩ - ١٧٠)، واستدعاءُ النصوص القرآنيَّة فيه تقويةٌ للنصِّ وترسيخٌ للمعنى، ونلحظُ أنَّ هذا التناص يكادُ أنْ يكون كَلِميًّا في (حي=أحياء)، (فرح=فرحين).

وقد يتصرَّفُ الجميلي في التناص بما ينقله إلى معنى آخر غير الذي نزل فيه النصّ القرآني، ومنه قوله في رثاء إبراهيم المدرس:

عَرَجتَ إلى الرحمنِ مسكٌ ختامُكم ... فطوبى ولـيِّ اللهِ أنـتَ الأصيـلُ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٢٢).

فهو تناصٌّ مع قوله تعالى في وصف شراب أهل الجنة: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (المطففين: ٢٥، ٢٦)، وليس وصفًا لحسن الخاتمة، وقد جرى التعبير عند الناس بمسك الختام مجرى الأمثال السائرة، غير أنَّ إبداع الجميلي في تحويل المعنى أدى معنى أنَّ خاتمة أعمال ذلك المرثيِّ كانت طيِّبة كالمسك، وعلى كلّ محبّ للعمل الصَّالح المنافسة للوصول إلى مثل ما وصل إليه.

ومِنْ نَقْل المعنى في التَّناصِّ إلى معنى آخر قوله في رثاء أخيه الكبير الأستاذ عبدالمجيد:

نُـجـلُّ الـجـودَ فـي عـبدالـمـجيـدِ ... كفعلِ الريح في عصف الحصيدِ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٢٢).

وفعل الريح العاصف جاء في القرآن في سياق العقاب، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ (ابراهيم: ١٨)، فالبيتُ مدحٌ والنصُّ القرآني عقوبة، فلا أرى أنَّ التناص هنا جاء موفَّقًا، وإن كان المعنى مفهومًا.

ومن التناص مع الحديث الشريف قوله في رثاء رائد الجنابي:

أحـوريَّـةَ الأعـراسِ شمِّـي عبيرهُ ... دمـاؤهُ مـسـكٌ فـالـتـنـافسُ أعـظـمُ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٧١).

فإنَّ قوله (دماؤهُ مسكٌ) تناصّ مع قول سيدنا الرسول ﷺ عن الشهيد: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ «صحيح البخاري: ١٠٣٢/٣، رقم الحديث: ٢٦٤٩)، ومع ما في الكلمتين اللَّتين أوردهما الشاعر على سبيل التناصّ، فإنَّ فيهما إيجازًا لمضمون الحديث، وإشارة إلى جميع ما احتواه من معانٍ.

ونلحظُ أنَّ التناص (الاقتباس) الجُمَليّ من القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة يكادُ أنْ يكون معدومًا عند الجميلي، في حين لو طالَعنا شِعرَ شعراء آخرين من ذوي التوجُّهات الدِّينيَّة لوجدنا التناصَّ الجُمَلي حاضرًا حتى يتكئ كثيرٌ منهم عليه فيكون شعرهم أقرب إلى النَّظم منه إلى الشِّعر؛ وذلك لقلَّة المعاني المتولِّدة عندهم، أمَّا الجميليّ فإنَّ ذلك التناصّ كان عنده نادرٌ؛ لأنَّه كان غزير الفكر، ثرَّ المعاني، مُتمكِّنًا من أدواته اللُّغويَّة.

وقد يأتي التناص مع نصٍّ شعريٍّ قديم، كقوله في رثاء عينيه:

فأصبحتُما نارًا وأصبحتُ راقصًا كذا الطَّير عند الذبحِ رقصًا يؤلَّمُ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٤٢).

فهو تناصٌّ مع البيت المشهور:

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرب فالطير يرقص مذبوحا من الألم

(البيت بلا نسبة في المقتطف: ٣٤٤).

وقد يستلهمُ التناصَّ من رصيده الفكري الصوفي كقوله في رثاء الأستاذ عبدالمجيد الجميلي:

ولكنَّ القضاءَ بلا اختيارٍ كأنَّا ريشةٌ بين الوجودِ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١١٣).

فإنَّ الإنسان في الفكر الصّوفي كالريشة في مهبّ ريح الأقدار (الشاذلي: ١٣٢)، وهي دعوةٌ من الشَّاعر إلى تمام التسليم إلى قضاء الله وقدره، وليست دعوةً إلى التواكل أو الاتكال، ولا هي دعوة إلى اتِّباع القدريَّة، ولكنَّها الصّوفيَّة الصَّافية التي تستقي نهجها من كتاب الله وسنَّة سيدنا الرسولrوأقوال العلماء الأعلام، التي توقن بأنَّ الله تعالى هو المُقدِّر كلّ شيءٍ. وهناك مواضع أخرى كثيرة للتناص حاضرةٌ في أكثر مراثيه(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١١١١، ١١٥، ١١٩، ١٦٤، ١٧١).

رابعًا: أسلوب التكرار: هو «عبارة عن تكرير كلمةٍ فأكثر بالمعنى واللَّفظ؛ لنكتة، ونُكَتُهُ كثيرةٌ، منها: التوكيد، أو لزيادة التنبيه، أو للتَّعظيم، أو للتلذذ باسم المكرَّر». (ابن معصوم: ١٩٦٨: ٣٤٥).

فمن التِّكرار الحرفيِّ قوله في رثاء إبراهيم المدرس:

مُحيَّاكَ بدريٌّ وقلبك درَّةٌ وعُودُك صرحٌ لا ولا لا يميلُ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٢٢).

فإنَّ تكرار (لا) هنا له وقعٌ مُميَّزٌ على السَّمع، ويتجاوز النَّغمَ إلى المدلول؛ لأنَّ من سنن العرب التكرار والإعادة؛ وغايتهم إرادة الإبلاغ لصرف الأنظار إلى العناية بالأمر وبيان أهمِّيَّته (الصاحبي: ٧٧) ؛وإنَّما أراد الشَّاعر توثيق معنى كون المرثيِّ صرحًا قويًّا لا تهزّه فتنُ الدنيا، وتعدُّد الأهواء.

أمَّا التكرار الكَلِمي فمنه قوله في رثاء طه جابر العلواني:

فطوبى ثمَّ طوبى يا فقيهًا هي الفردوسُ مأواكَ المُقيمُ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م: ١٦٤).

وهكذا تكون لغة التكرار عند الجميليِّ باعثًا نفسيًّا تأخذ السَّامعين بما يشكله هذا الترجيع من تناغم الجرس وتقويته، إلى الاستعذاب والتشويق، إلى ما ناله ذلك الشَّهيد تارة، وإلى الحنين إليهِ والتأسِّي به؛ لِنَيْل ما ناله تارة أخرى (هلال: ١٩٨٠: ٢٣٩).

وقد يعمد إلى التِّكرار الثُّلاثي، كما في تكراره الفعل (سِر) مرتين، ثم الإتيان بمصدره؛ ليكون كالتكرار الثلاثي، ومنه قوله في رثاء موفق العاني مُخاطبًا ابنه عليًّا:

عليُّ سِرْ ثمَّ سِرْ سَير أبيك سنا عليُّ كُنْ مثله قد كان بركانا

(الجميلي، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م: ١٦٥).

فموسيقى السَّير اكتنفت صدر البيت وغَشِيتهُ، وجاءت الغاية منهُ حثّ الابن على السَّير على خطى الأب، والصَّوتُ البارز على الأسماع من تكرار الفعل حرف السين، وهو من الأصوات المهموسة التي لا تهتزّ لها الأوتار، وتوحي بالهدوء والسكون الذي يناسبُ تطييب خاطر الابن هنا، كما له صفير مميز وله خفّة وقعة على الأذن، كما لها حظ واسع من التنغيم والتفشيّة (الحسيني: ٢٠٠٤ -: ١٠٧ - ١٠٨) تناسب سياق الحثّ الرقيق على اتباع نهج الأب.

ومن التكرار الثلاثي قوله في رثاء عامر القرغولي:

اللهُ اللهُ ثمَّ الله عامرنا ذكراهُ خالدةٌ نارٌ على علمِ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م: ١١٦).

فإنَّ تكرار لفظ الجلالة يوقعُ في النَّفسِ من الخشوع واللجوء إلى الله تعالى للرضا بقضائه، ثمَّ في حروف اللَّفظ الكريم مُتنفَّس للشكوى إليه سبحانه؛ لتستقرّ القلوب وتطمئنَّ به، وتسكن لقضائه.

وكان لدى الجميليِّ تكرار كلمي على مستوى النص، فقد كرَّر (الروضة) في رثاء غسان

أربع مرَّاتٍ في قصيدة من خمسة عشر بيتًا، أول ذكرٍ للروض فيها قوله:

طـوبـى لـــروضٍ نـمـتَ فـيـهِـا تـسـقـي الـثـرى كأس الـطّـهـور

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٤٧).

وقبل هذا التكرار ففي لفظ (روضة) إحالةٌ على الحديث الشريف: «إِنَّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ «(الترمذي: ٤/٦٤٠)، فكأنَّه يؤكِّد أنَّ المرثيَّ جالسٌ مقيم في رياض الجنَّة، يتنقَّل من واحدة إلى أخرى.

ولم يقتصر التِّكرار على التكرار اللَّفظي، وإنَّما تجاوزه إلى المعنويِّ، ومنه قوله في رثاء عامر القرغولي:

فـؤادي وأولادي وروحـي لـك الفدا فقد كنت نبراسًا وهـل ينكر النَّجمُ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١١٦).

فإنَّ بين الفؤاد والروح تكرارٌ؛ لأنَّ الإنسان إذا فدى آخرَ بفؤاده لم يعد حيًّا، وإن فداه بروحه لم يعد حيًّا أيضًا، فكلاهما في الفداء واحدٌ، وغايته التأكيد أنَّه يفدي المرثيَّ بكلِّ ما يستطيع. وهناك شواهد أخرى للتكرار بأنواعه في الرثاء غير ما ذكرتُ ينظر: (الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١١٤، ١١٩، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٦٤، ١٨٢).

خامسًا: أسلوب الشرط: الشَّرطُ هو تعليقُ حصول أمرٍ بآخر، بواسطة إحدى أدوات الشرط، وهو أسلوب لغويٌّ مبنيٌّ على جملة تتألف من أداة، ومن تركيبين يرتبط أحدهما بالآخر ارتباطًا وثيقًا يحول دون استقلال أحدهما عن الآخر، فيُنزَّل الشقّ الأول منزلة السبب، والشقّ الثاني منزلة المسبب، وبتحقيق السبب يتحقق المسبب، وينعدم إذا انعدم الأول (الحسيني: ٢٠٠٤: ٢٠٥ - ٢٠٦).

ومن استعمال أداة الشَّرط (مَنْ) قوله في رثاء صديقه غسان:

مَـــنْ كـــان فـــي الـدنـيـا تـقـي لاقـــــاهُ ربِّـــــي بـالـسّـــرور

(الجميلي، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م: ١٤٧).

فقد جاءت جملة الشرط مصدَّرة بالفعل الناقص، تلتها جملة الجواب فعلها ماضٍ، والشَّرطُ هنا يؤكِّد مسألتين، إحداهما: أنَّ المرثيَّ كان تقيًّا ولذلك لاقاهُ ربُّه بالسّرور، والأخرى: أنَّ مَنْ يريد أنْ ينالَ ما ناله فلا بدَّ أن يكون تقيًّا، وبهذا جمع الجميليّ بين التعبير عن محاسن المرثيِّ، والرسالة التَّربويَّة الموجَّهة نحو المجتمع.

ومن استعماله (لولا) قوله في رثاء عبدالكريم زيدان:

من وارث عن أمجدِ فقه السَّما يا مُرشدي لولاكَ مازَهَرَ الرُّبا

(الجميلي، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م: ٩٩).

ففي الشرط تقديمٌ وتأخير، والأصل: لولاكَ يا مرشدي ما زَهرَ الرُّبا، فجملة الشَّرط اسميَّة، وجملة الجواب فعليَّة، ولهذا أسبغت (لولاك) على النَّصِّ إيحاءً حزينًا يتقدَّمه العرفان بالفضل والامتنان (البان: ٢٠١٩: ١٣٦).

وقد يأتي الشَّرطُ موجَّهًا برسالةٍ تربويَّة محضة، ومنه قوله في رثاء علي الخفيف:

كُنَّا سراجًا كتابُ اللهِ ومضتهُ مَنْ ينهلِ الدِّينَ قد ولَّتْ مثالبهُ

(الجميلي، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م: ١١٢).

فقد جاءت جملة الشرط فعليَّة مُصدَّرة بالفعل المضارع، وجملة الجواب فعليَّة مصدَّرة بالفعل الماضي، فالجميلي هنا لا يتَّخذ الرثاء بكاءً فحسب، بل يمزجه بمقاصد تربويَّة إرشاديَّة، حتى لا يكون موقفنا من المرثيِّ البكاء فحسب، ولكن الانتفاع من نهجه وسيرته، فالأمَّة –ومنها المَرثيّ - سراجٌ يضيء الدروب، ومن ينهل ما يرويه من الإسلام تختفي معايبه، واستعمالُ جملة المضارع في الاتباع والماضي في ذهاب العيوب فيها غايةٌ بلاغيَّة كأنَّ الذي ينهل الآن من الدين فإنَّ حتميَّة ذهاب معايبه من شدَّة تحقُّقها تكون كأنَّها حصلت وانقضت. وقد يُكرِّر الشَّرط في بيتين متتابعين، ومنه قوله في رثاء تلميذه موفق العاني:

أبا عليٍّ تركتَ القلب في سعرٍ إذا لقيناك كلُّ الأُنس يلقانا

موفقٌ قمرٌ العِلمُ ومضتُهُ إذا افتقدناك حرُّ الحزن يصلانا

(الجميلي، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م: ١٦٥).

فقد استعمل هنا (إذا): وهي أداةٌ ظرفية مستقبليّة، متضمِّنة معنى الشرط (الحمد و الزغبي: ١٩٩٣م: ٣٥)، ومتلوَّة بالفعل الماضي للدلالة على الوقوع القطعي المجزوم بحصوله، ولا تستعمل إلّا في الأحوال الكثيرة الوقوع (الهاشمي: ٢٠١١م: ١٠٤)، والتَّكرار في استخدام أسلوب الشَّرط في بيتين متتابعين يوحي بإلحاح الشَّاعر على ربط الأُنسِ والحزن بالشَّاعر (البان: ٢٠١٩: ١٣٦)، فكلاهما مشروطٌ بالفقيد، وشتَّان بين الصُّورتين: صورة الشعور بكلِّ الأُنس عند اللِّقاء، وصورة حرّ الحزن الذي يحرق القلوب عند افتقاده.

هذه بعض أمثلة الشرط في رثاء الجميلي وهناك كثيرٌ غيرها منثورٌ في مراثيه ينظر: (الجميلي، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م: ١٠٠، ١٠١، ١١١، ١٢٢، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٧).

الخاتمة

• مَثَّلَ الرِّثاءُ رُبعَ قصائد ومقطوعات الجميليِّ، وكان ما كتبه فيهِ - بلا شكٍّ - يُعبِّر عن عاطفة إنسانيَّة وفنِّيَّة صادقة؛ لأنَّ الجميلي لم يكن ممَّن يتكسَّب بالشِّعر من أُسر المَرثيِّين، ولم يكن بحاجة إلى الشُّهرة الأدبيَّة أو العلميَّة؛ لأنَّه كان أستاذًا جامعيًّا مرموقًا، وفقيهًا عالمًا.

• على الرَّغم من كون الجميلي كفيفًا إلَّا أنَّنا نجد عنده صُورًا تشبيهيَّة رائعة، منها ما هو تشبيهٌ قديمٌ تصرَّفَ فيه ليضيفَ إليه معنى جديدًا، ومنه ما هو إبداعٌ شخصيّ، قد تفنَّنَ فيه في قلبِ الصُّور، وجاءت أكثرُ تشبيهاته طرفاها حِسِّيَّان؛ غرضها ترسيخ الصّورة التي يريد مشاركتها مع المتلقي، وبعضُها غير واضح المدلول.

• طغتِ الاستعارةُ المكنيَّة على شعر الجميلي؛ فهو يجدها أعمق في الوصف، وأبلغ في التعبير، وأجودَ في التَّخييل، مع الاستعانة بالاستعارة التمثيليَّة التي أظهرت الرضا بالقضاء في أجلى صُوَرِهِ.

• كانت الكناية عن صفةٍ، ثمَّ الكناية عن نسبةٍ أبرزَ أدوات الجميلي في الرثاء، ولا سيَّما عند وصفِ الصِّفات الذَّاتيَّة للمَرْثيِّين.

• كان الاستفهامُ ملمحًا أسلوبيًّا بارزًا يُظهر حيرة الجميلي وشدَّة تفجّعه على نفسه والمَرثيِّين، مع نفي إمكانيَّة وجود من يُعوِّض عنهم.

• في النِّداءِ كثيرًا ما حَذَفَ الأداةَ؛ إشعارًا بشدَّة حزنه وعدم قدرته على الإطالة، وإظهارًا لقرب المرثيِّ قربًا قلبيًّا وأنَّه لا حواجز بينه وبينه، وأمَّا إظهارُ الأداة فكان للتعظيمِ واستنهاضِ الهمم.

• مَثَّل التناصُّ في شعر الجميليِّ مستويات مختلفةً، فمنه ما جاء مع القرآن الكريم والحديث الشَّريف، وقد جاء لتكثيف المعاني، والإحالة على معاني تلك النُّصوص، ومنه ما جاء مع شعر غيره أو معانيه، ولم يكن الاقتباس من القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة اقتباسًا جُمَليًّا؛ وهذا لتمكُّن الجميلي من أدواته اللُّغويَّة، وثراء فِكره.

• جاء التكرارُ في شعرهِ ترسيخًا للمعاني التي يريد إبرازها، كما كانت باعثًا نفسيًّا يُلقي الطّمأنينة في القلوب والرضا بالقضاء.

• لم تكن غايات الجميلي من تفنّنه في الصّورة أو الأساليب - ولا سيَّما الشَّرط - محصورةً

في التفجُّع وذكر المآثر ولكنَّه تجاوز ذلك إلى بثِّ المعاني التربويَّة السَّامية التي كان المَرثيِّين عليها؛ ليستنهضَ همَمَ الأفراد والجماعات فيستنيروا بِسِيَرِهِم.

المصادر

القرآن الكريم.

١ - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. مقاييس اللغة: تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

٢ - ابن معصوم، صدر الدين المدني علي بن أحمد بن محمد بن معصوم الحسني الحسيني (ت: ١١١٩هـ)، ١٩٦٨م، أنوار الربيع في أنواع البديع: تحقيق: شاكر هادي شكر، (د. ط)، مطبعة النعمان، بغداد.

٣ - أبو البركات، كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي(ت: ٥٧٧ هـ)، ، ١٩٩١م، الإنصاف في مسائل الخلاف ط٤، المكتبة التجارية الكبرى.

٤ - أبو البقاء، يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل: مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت).

٥ - أبو العدوس، يوسف، ، ١٩٩٧م، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ط ١، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٦ - أبو المعالي، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر القزويني الشافعي(ت: ٧٣٩هـ)، ١٩٧١م، الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر

٧ - الأزدي، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٣هـ)، ١٩٨١م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.

٨ - الالتزام الصوفي: د. عبدالله الشاذلي، دار الافاق العربية، ط١،.

٩ - الأمالي: ضياء الدين أبو السعادات المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١م.

١٠ - الأندلسي، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي (ت: ٦٨٥هـ)، ، ١٤٢٥ هـ، المقتطف من أزاهر الطرف: (د. ط) شركة أمل، القاهرة.

١١ - البان، ماجدة ناصر عبدالله، ٢٠١٩م. الرثاء في شعر حسان بن ثابت دراسة موضوعية وفنية: ط١، دار نور حوران - سوريا، دار مرايا - دبي.

١٢ - البخاري ١٤٢٢هـ، صحيح (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط٢، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،.

١٣ - الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي(ت: ٢٧٩هـ)، ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. سنن تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

١٤ - التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت: ٧٩٢ هـ)، شرح التلخيص: (د. ط) مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

١٥ - الجميلي، خالد رشيد، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، حوار مع الدنيا: ط١، دار رواد المجد - دار العصماء، دمشق.

١٦ - الحسيني، راشد بن حمد بن هاشل، ٢٠٠٤ م. البنى الأسلوبية في النص الشعري – دراسة وتطبيق ط١، دار الحكمة، لندن.

١٧ - الحلبوسي، وليد, ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م، الفقيه الأديب، خالد رشيد الجميلي سيرته الشخصية وآثاره العلمية:

١٨ - الحمد و الزعبي، علي توفيق ويوسف جميل، ١٩٩٣م، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ط٢، دار الأمل، إربد.

١٩ - الحمداني، فالح أحمد، ٢٠٠٠م، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف: ط١، مؤسسة الوراق، عمّان، الأردن.

٢٠ - خليل، إبراهيم، ١٩٩٧م. الأسلوبية ونظريّة النصّ: ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٢١ - الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت: ٣٣٧هـ)، ١٩٨٤م، حروف المعاني: تحقيق: علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٢ - الزوبعي، طالب محمد اسماعيل، ١٩٧٧م. البلاغة العربية – علم المعاني – بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين جامعة قار يونس – بنغازي.

٢٣ - الزيات، أحمد حسن، ، ١٩٦٧م. دفاع عن البلاغة: ط٢، عالم الكتب، القاهرة.

٢٤ - السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م، معاني النحو ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن.

٢٥ - السبكي، أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي بهاء الدين (ت: ٧٧٣ هـ)، ، ٢٠٠٣م، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، ط١، المكتبة العصريّة، صيدا – بيروت.

٢٦ - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت: ١٨٠هـ)، ، ١٩٧٧م، الكتاب: تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د. ط)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

٢٧ - السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، ٢٠١١م، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، تحقيق: ابراهيم محمد الحمداني، أمين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١.

٢٨ - الشايب، أحمد، ١٩٦٦م, ,الأسلوب ط٦، مكتبة النهضة المصرية.

٢٩ - فالح، جليل رشيد، ١٩٨٥م، الصورة المجازية في شعر المتنبي (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد.

٣٠ - قاسم، عدنان حسين، ٢٠٠٠م. التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر.

٣١ - المغربي، أحمد بن محمَّد ابن يعقوب (ت: ١١٤٨هـ)، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: ط٢، مطبعة السعادة، مصر، (د. ت).

٣٢ - الهاشمي، السيد أحمد، ٢٠٠١م، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣ - هلال، ماهر مهدي جرس، ١٩٨٠م، الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب (د. ط)، دار الرشيد، بغداد.

٣٤ - الهندي، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الفَتَّنِي الكجراتي(ت: ٩٨٦هـ)، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: ط٣، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

Sources and References:

(After the Holy Quran).

1. Al - Istiara fi al - Naqd al - Adabi al - Hadith. Yusuf Abu al - Adus. 1st ed. Al - Matbaa al - Ahliyyah for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1997.

2. Al - Uslub. Ahmad al - Shayib. 6th ed. Maktabat al - Nahda al - Misriyyah, 1966.

3. Al - Uslubiyyah wa Nazariyyat al - Nass. Dr. Ibrahim Khalil. 1st ed. Al - Muassasah al - Arabiyyah lil - Dirasat wa al - Nashr, Beirut, 1997.

4. Al - Iltizam al - Sufi. Dr. Abdullah al - Shadhili. Dar al - Afaq al - Arabiyyah, 1st ed.

5. Al - Amali. Diya al - Din Abu al - Saadat Ibn al - Shajari (d. 542 AH). Edited by Mahmud Muhammad al - Tanahi. 1st ed. Maktabat al - Khanji, Cairo, 1991.

6. Al - Insaf fi Masail al - Khilaf. Kamal al - Din Abu al - Barakat Abd al - Rahman ibn Muhammad al - Anbari (d. 577 AH). 4th ed. Al - Maktabah al - Tijariyyah al - Kubra, 1991.

7. Anwar al - Rabi fi Anwa al - Badi. Sadr al - Din al - Madani Ali ibn Ahmad ibn Masum al - Hasani al - Husayni, known as Ibn Masum (d. 1119 AH). Edited by Shakir Hadi Shukr. Dar al - Numan Press, Baghdad, 1968.

8. Al - Idah fi Ulum al - Balagha. Abu al - Maali Jalal al - Din Muhammad ibn Abd al - Rahman al - Qazwini al - Shafii (d. 739 AH). Muhammad Ali Subayh Library and Press, Egypt, 1971.

9. Al - Balagha al - Arabiyyah: Ilm al - Maani bayna Balaghat al - Qudama wa Uslubiyyat al - Muhdathin. Talib Muhammad Ismail al - Zubai. University of Garyounis, Benghazi, 1977.

10. Al - Buna al - Uslubiyyah fi al - Nass al - Shiri: Dirasa wa Tatbiq. Dr. Rashid ibn Hamad ibn Hashil al - Husayni. 1st ed. Dar al - Hikmah, London, 2004.

11. Al - Taswir al - Shiri: Ruya Naqdiyyah li - Balaghatina al - Arabiyyah. Dr.

Adnan Husayn Qasim. Al - Dar al - Arabiyyah for Publishing and Distribution, Egypt, 2000.

12. Jaras al - Alfaz wa Dalalatuha fi al - Bahth al - Balaghi wa al - Naqdi inda al - Arab. Dr. Mahir Mahdi Hilal. Dar al - Rashid, Baghdad, 1980.

13. Jawahir al - Balagha fi al - Maani wa al - Bayan wa al - Badi. Al - Sayyid Ahmad al - Hashimi. 1st ed. Dar al - Kutub al - Ilmiyyah, Beirut, 2001.

14. Huruf al - Maani. Abu al - Qasim Abd al - Rahman ibn Ishaq al - Zajjaji (d. 337 AH). Edited by Ali Tawfiq al - Hamad. 1st ed. Muassasat al - Risalah, Beirut, 1984.

15. Hiwar ma al - Dunya. Prof. Dr. Khalid Rashid al - Jumaili. 1st ed. Dar Ruwad al - Majd / Dar al - Asma, Damascus, 2019.

16. Difa an al - Balagha. Ahmad Hasan al - Zayyat. 2nd ed. Alam al - Kutub, Cairo, 1967.

17. Al - Ritha fi Shir Hassan ibn Thabit: Dirasa Mawduiyyah wa Fanniyyah. Majidah Nasir Abdullah al - Ban. 1st ed. Dar Nur Hawran, Syria; Dar Maraya, Dubai, 2019.

18. Sunan al - Tirmidhi. Abu Isa Muhammad ibn Isa al - Tirmidhi (d. 279 AH). Edited by Ahmad Muhammad Shakir (vols. 1–2), Muhammad Fuad Abd al - Baqi (vol. 3), and Ibrahim Atwah Awad. 2nd ed. Mustafa al - Babi al - Halabi Press, Egypt, 1975.

19. Sharh al - Talkhis. Saad al - Din al - Taftazani (d. 792 AH). Isa al - Babi al - Halabi Press, Egypt, n. d.

20. Sharh Uqud al - Juman fi al - Maani wa al - Bayan. Jalal al - Din al - Suyuti (d. 911 AH). Edited by Ibrahim Muhammad al - Hamadani and Amin Luqman al - Habbar. 1st ed. Dar al - Kutub al - Ilmiyyah, Beirut, 2011.

21. Sharh al - Mufassal. Abu al - Baqa Yaish ibn Ali ibn Yaish (d. 643 AH). Maktabat al - Mutanabbi, Cairo, n. d.

22. Al - Sahibi fi Fiqh al - Lugha wa Sunan al - Arab fi Kalamaha. Abu al - Husayn Ahmad ibn Faris al - Qazwini al - Razi (d. 395 AH). Al - Muayyad Press, Cairo, 1910.

23. Sahih al - Bukhari. Muhammad ibn Ismail al - Bukhari (d. 256 AH). Edited by Muhammad Zuhayr ibn Nasir al - Nasir. 2nd ed. Dar Tawq al - Najah, 1422 AH.

24. Al - Surah al - Bayaniyyah fi al - Hadith al - Nabawi al - Sharif. Falih Ahmad al - Hamadani. 1st ed. Muassasat al - Warraq, Amman, 2000.

25. Al - Surah al - Majaziyyah fi Shir al - Mutanabbi (Doctoral Dissertation). Jalil Rashid Falih. University of Baghdad, 1985.

26. Arus al - Afrah fi Sharh Talkhis al - Miftah. Baha al - Din al - Subki (d. 773 AH). Edited by Abd al - Hamid al - Hindawi. 1st ed. Al - Maktabah al - Asriyyah, Sidon–Beirut, 2003.

27. Al - Umda fi Mahasin al - Shir wa Adabihi wa Naqdihi. Ibn Rashiq al - Qayrawani (d. 463 AH). Edited by Muhammad Muhyi al - Din Abd al - Hamid. 3rd ed. Dar al - Kitab al - Arabi, Beirut, 1981.

28. Al - Faqih al - Adib Prof. Dr. Khalid Rashid al - Jumaili: Siratuhu al - Shakhsiyyah wa Atharuh al - Ilmiyyah. Walid al - Halbusi. 2022.

29. Al - Kitab. Sibawayh (Amr ibn Uthman ibn Qanbar) (d. 180 AH). Edited by Abd al - Salam Muhammad Harun. Egyptian General Book Authority, Cairo, 1977.

30. Majma Bahr al - Anwar fi Gharaib al - Tanzil wa Lataif al - Akhbar. Jamal al - Din Muhammad Tahir al - Fattani al - Hindi (d. 986 AH). 3rd ed. Ottoman Encyclopedia Press, 1967.

31. Maani al - Nahw. Prof. Dr. Fadil Salih al - Samarrai. 1st ed. Dar al - Fikr, Amman, 2000.

32. Al - Mujam al - Wafi fi Adawat al - Nahw al - Arabi. Dr. Ali Tawfiq al - Hamad and Dr. Yusuf Jamil al - Zubai. 2nd ed. Dar al - Amal, Irbid, 1993.

33. Maqayis al - Lugha. Ahmad ibn Faris (d. 395 AH). Edited by Abd al - Salam

Muhammad Harun. Dar al - Fikr, Beirut, 1979.

34. Al - Muqtafat min Azahir al - Tarf. Abu al - Hasan Ali ibn Musa ibn Said al - Maghribi al - Andalusi (d. 685 AH). Amal Company, Cairo, 1425 AH.

35. Mawahib al - Fattah fi Sharh Talkhis al - Miftah. Ahmad ibn Muhammad ibn Yaqub al - Maghribi (d. 1148 AH). 2nd ed. Matbaat al - Saadah, Egypt, n. d.